حكايات قبل النوم
(٧)

زِدْني .. رَحِمَكَ اللّه

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

إن ربي لم يأمرْني بهذا

عن الفضلِ بنِ الرّبيع ، قال :

حجَّ أميرُ المؤمنينَ هارونُ الرشيدِ ، فبينا أنا نائمٌ بمكةَ إذْ سمعتُ قَرْعَ البابِ ، فقلتُ : مَنْ هذا؟

قال : أَجِبْ أميرَ المؤمنين ، فخرجتُ مُسْرِعاً ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ! لو أرسلتَ إليَّ لأتيتُكَ .

فقال : وَيْحَكَ ، قد خَطَرَ في نفسي شيءٌ ، فانظر لي رجلاً أسألُه...

فقلتُ : ها هنا (سفيانُ بن عُيَيْنَةَ) .

فقال : امضِ بِنا إليه ، فأتيناه ، فقرَعْتُ البابَ ، فقال : مَنْ ذا؟

قلتُ : أجِبْ أميرَ المؤمنين!

فخرج مُسْرِعاً ، فقال : يا أميرَ المؤمنين! لو أرسلتَ إليَّ لأتيتُكَ...

فقال له : خُذْ لما جئناكَ له ـ رَحمَكَ اللهُ ـ فحدَّثه ساعةً ، ثم قال له : عليكَ دَينٌ؟

قال : نعم .

قال : اقْضِ دَيْنَهُ ، فلما خرجنا ، قال : ها هنا (عبدُ الرزاق بن همام) .

فقال : امضِ بنا إليه ، فأتَيناه ، فقرعْتُ عليه البابَ ، فقال : مَنْ هذا؟

فقلتُ : أجِبْ أميرَ المؤمنين!

فخرج مُسْرِعاً ، فقال : يا أميرَ المؤمنين! لو أرسلتَ إليَّ لأتيتُك .

قال : خُذ لما جئناك له ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ فحادَثَه ساعةً ، ثم قال : أعليكَ دينٌ؟

قال : نعم .

قال : يا عباسيُّ! اقضِ دَيْنَه ، ثم انصرفْنا ، فقال لي : ما أغنىٰ عنّي صاحبُك شيئاً ، انظُرْ لي رجلاً أسألْه .

قلتُ : ها هنا (الفُضَيل بنُ عِياض) .

فقال : امضِ بنا إليه ، فأتيناه وإذا هو قائم يُصلّي يتلو آية من القرآن يُردِّدها .

قال : اقرَعْ البابَ ، فقرعتُه ، فقال : مَنْ هذا؟

قلتُ : أجبْ أميرَ المؤمنين!

فقال : ما لي ولأميرِ المؤمنين؟

فقلتُ : سبحان الله! أما عليك طاعتُه؟

فنزل فَفَتَحَ البابَ ، ثم ارتقىٰ إلىٰ الغُرفةِ ، فأطفأ السِّراجَ ، ثم التجأ إلىٰ زاويةٍ من زوايا البيت ، فدخلْنا فجعلْنا نَجولُ عليه بأيدينا ، فسَبَقَتْ كفُّ (هارون) قبلي إليه ، فقال : يا لها من كفٍّ ما أنعمَها وألْيَنها إن نَجَتْ غداً من عذابِ الله؟!

فقلتُ في نفسي : ليكلِّمَنّهُ الليلةَ بكلامٍ نَقيٍّ من قلبٍ نقيّ...

فقال له : خُذْ لما جئناكَ له ـ رَحِمَكَ اللهُ ... .

فقال : إنّ عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالىٰ ـ لمّا وَلِيَ الخلافةَ دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حَيْوة ، فقال لهم : قد ابتُلِيْتُ بهذا البلاءِ ، فأشيروا

علـيَّ ، فعـدَّ الخـلافـةَ بـلاءً ، وعَـدَّدتَهـا أنـت وأصحابُكَ نِعمةً؟!

فقال له سالم بن عبد الله : إن أردتَ النجاةَ من عذابِ الله ، فصُم عن الدنيا ، ولْيكُنْ إفطارَك منها الموتُ .

وقال له محمد بن كعب : إنْ أردتَ النجاةَ من عذاب الله ، فلْيكُنْ كبيرُ المسلمينَ عندك أباً ، وأَوسَطُهم عندكَ أخاً ، وأَصْغَرُهم عندك ولَداً ، فوقِّرْ أباك ، وأكرمْ أخاك ، وتحنَّنْ علىٰ ولدِك .

وقال له رجاءُ بن حَيْوة : إن أردتَ النجاةَ من عذابِ اللهِ ، فأحِبَّ للمسلمين ما تُحبُّ لنفسِكَ ، واكرَهْ لهم ما تَكرهُ لنفسِكَ ، ثم مُتْ إذا شئتَ...

وإني لأقولُ لكَ هذا ، وإني لأخافُ عليك أشدَّ الخوفِ ، في يوم تَزِلُّ فيه الأقدامُ! فهل معك

ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ مثلُ هؤلاء مَنْ يُشيرُ عليكَ أو يأمرك بمثلِ هذا؟!

فبكىٰ هارونُ بكاءً شديداً حتىٰ غُشيَ عليه..

فقلتُ له : ارفقْ بأميرِ المؤمنين .

قال : يابنَ أمِّ الربيع! تقتلُه أنتَ وأصحابُك وأرفقُ به أنا؟

ثم أفاقَ ، فقال : زِدْني رحمكَ الله!

فقال : بلغني يا أميرَ المؤمنين ، أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شُكِيَ إليه ، قال : فكتبَ إليه عمرُ : يا أخي! اذْكُرْ طولَ سَهَرِ أهلِ النارِ في النارِ مع خلودِ الأبدِ ، فإن ذلك يطْردُ بك إلىٰ بابِ الربِّ نائماً ويقظانَ ، وإياك أن يُنصَرَفَ بكَ من عندِ اللهِ إلىٰ النار فيكونَ آخرَ العهدِ ومُنْقَطَعَ الرجاء...

قال : فلما قرأ الكتابَ طوىٰ البلادَ حتىٰ قَدِمَ علىٰ عمر...

فقال له : ما أَقْدَمَكَ؟

قال : خلعت قلبي بكتابِكَ ، لا وَليتُ لك وِلايةً حتىٰ ألقىٰ اللهَ...

فبكىٰ هارونُ بكاءً شديداً ، ثم قال له : زِدْني ـ رحمك الله ـ...

فقال : يا أميرَ المؤمنين! « إنّ الإمارةَ حسرةٌ وندامةٌ يوم القيامة ، فإن استطعتَ ألا تتأمَّرَنَّ علىٰ أحدٍ فافعلْ » .

قال : فبكىٰ هارونُ بكاءً شديداً ، ثم قال له : زِدْني ـ رحمكَ اللهُ ـ...

قال : يا حَسَنَ الوجْهِ! أنتَ الذي يسألُكَ اللهُ

عن هذا الخَلْقِ ، فإن استطعتَ أن تقي هذا الوجه من النار فافعلْ ، وإياكَ أن تُصبحَ وتُمسيَ وفي قلبِكَ غِشٌّ لرعيّتِكَ ، فإنّ النبي ﷺ قال :

« مَنْ أصبحَ لهم غاشّاً لم يَرَحْ رائحةَ الجنة » .

فبكىٰ هارونُ بكاءً شديداً ، ثم قال : عليك دَيْنٌ؟

قال : نعم ، دين لربّي لم يحاسبْني عليه ، فالويْلُ لي إنْ ساءَلني ، والويلُ لي إن ناقشَني ، والويلُ لي إنْ لم أُلْهَمْ حُجّتي!

قال : فقال : إنما أعني مِنْ دَينِ العِبادِ...

قال : إنّ ربي لم يأمرْني بهذا ، إنما أمرني أن أُصدِّقَ وعْدَه ، وأُطيعَ أمْرَه ، فقال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن

رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[1].

* * *

(١) سورة الذاريات: /٥٦ـ٥٨/.

... فيَدْخُل الجنّة!!

في صحيح مسلم هذه الحكاية الرائعةُ الهادفة :

قال الرسولُ صلواتُ الله عليه :

إن أدنىٰ أهلِ الجنةِ مَنْزِلاً ، رجلٌ صَرَفَ اللهُ وجهَه عن النارِ قِبَلَ الجنّة ، ومَثَّلَ له شجرةً ذات ظلٍّ ، فقال :

أيْ ربي ، قَدِّمْني إلىٰ هذهِ الشجرةِ ، فأكونَ في ظلِّها...

فقال اللهُ : هل عَسَيْتَ أن تَسألَني غيرَه؟

قال : لا ، وعِزَّتِكَ ، فقدَّمَهُ اللهُ إليها ، ومَثَّلَ له شجرةً ذاتَ ظلٍّ وثمارٍ...

فقال : أيْ ربي قَدِّمْني إلىٰ هذهِ الشجرة ، فأكونَ في ظلِّها ، وآكُلَ من ثمارِها...

فقال اللهُ : هل عَسَيْتَ إنْ أعطيتُكَ ذلكَ أن تسألَني غيرَه؟

قال : لا وعزتِكَ ، فقدَّمَهُ اللهُ إليها ، ومَثَّلَ له شجرةً ذاتَ ظِلٍّ وثَمَرٍ...

فقال : أيْ ربي ، قدِّمْني إلىٰ هذهِ الشجرةِ ، فأكونَ في ظِلِّها ، وآكُلَ من ثمرِها...

فقال اللهُ : هل عَسَيْتَ إنْ أعطيتُكَ ذلك أن تسألَني غيرَه؟

فيقول : لا وعزَّتِكَ ، فقدَّمَهُ اللهُ إليها ، فيُمثّل اللهُ له شجرةً أخرى ذاتَ ظلٍّ وثمارٍ وماء...

فيقول : أيْ ربِّ قدِّمْني إلىٰ هذهِ الشجرةِ فأكونَ في ظِلّها ، وآكُلَ من ثمرِها ، وأشربَ من مائِها...

فيقول له : هل عَسَيْتَ إن فعلْتُ أن تسألَني غيره؟

فيقول : لا وعزّتِكَ لا أسألُكَ غيرَه .

فيقدّمُه اللهُ إليها.. ، فَيبْرُزُ له بابُ الجنة... ، فيقول :

أيْ ربِّ قدِّمْني إلىٰ بابِ الجنّةِ ، فأكونَ تحتَ سِجافِ الجنةِ[1] ، فأرىٰ أهلَها ، فيقدِّمه اللهُ إليها ، فيرىٰ الجنةَ وما فيها...

فيقول : أيْ ربِّ أدخلْني الجنةَ...

---

(١) السّجف : الستران المقرونان ، بينهما فُرْجَةٌ .

فيدخل الجنة ، فإذا دخل الجنةَ قال : هذا لي؟!

فيقول اللهُ له : « تَمَنَّ... » .

فيتمنّىٰ ، ويُذَكِّره اللهُ عز وجل... سَلْ من كذا.. وكذا ، حتىٰ إذا انقطعتْ به الأماني .

قال الله : « هو لكَ وعَشَرةُ أمثالِه » .

ثم يُدخلُه اللهُ الجنةَ ، فيَدْخلُ عليه زوجتاه من الحورِ العِيْنِ...

فيقولان : الحمدُ لله الذي أَحْياكَ لنا ، وأحيانا لكَ...

فيقول : ما أُعطي أحدٌ مثلَ ما أعطيت!!

والحمد لله رب العالمين

* * *